قسمُ الاجتماع

مُلخص رسالة ماجستير
بعنوان

أثرُ التحولاتِ الاقتصاديةِ و الثقافيةِ على تطويرِ التعليمِ الجامعيِ

دراسةٌ على عينةٍ من الشبابِ الجامعيِ المصريِ

إعدادُ الباحثِ

هانيِ مُحمدٍ بهاءِ الدينِ علِيٍّ على حِجازِي

إشراف

أ.د. عزةَ صِيام

أستاذُ علمِ الاجتماعِ بآدابِ بِنْهَا

و وكيلُ الكليةِ للدراساتِ العليا و البحوثِ

٢٠٠٩

■ استهلال:

انطلاقاً مما شهده المجتمع المصري من تحولات اقتصادية وثقافية بفعل انتهاج عدد من السياسات الاقتصادية ، وما تستلزمه من تهيئة مناخ ثقافي حتى تشق طريقها في الفعل الاجتماعي ، ألقت هذه التحولات بظلالها على التعليم الجامعي باعتباره نظاماً فرعياً داخل إطار المنظومة المجتمعية الشاملة ، وعلى اعتبار أن البُنَي الاجتماعية (الاقتصادية والثقافية) المتميزة تعكس نفسها في بُنيً تعليميةٍ مقابلة ، وبالتالي تخلق أنواعاً من التعليم تتفق وبنيتها ، وعلى العكس من ذلك تكون البُنَي الرديئة.

وقد جاءت العديد من التحولات الاقتصادية والثقافية التي شهدها المجتمع المصري ، بدءًا من الاقتصاد الموجه ، فالانفتاح الاقتصادي ، وصولاً للاقتصاد الحر ، كنتيجة لعوامل بنائية بعضها خارجي والبعض الآخر داخلي ، أما العامل الخارجي فتمثل في عمليات الهيمنة التي تفرضها السوق العالمية من خلال آليات عدة أهمها فخاخ وضغوط صندوق النقد والبنك الدوليين ، والحصار الذي يفرضه الفاعلون المتجددون على المسرح الدولي.

أما العامل الداخلي فبفعل تَبَنِيّ المجتمع عبر جماعات المصالح فيه للتوجهات الاقتصادية للسوق العالمية ، كما هي كقالب جامد ، دونما اعتبار للطبيعة السوسيولوجية للمجتمع المصري ، مستهدفة تحقيق النفع الاقتصادي في المقام الأول ، ولو على حساب الأثر والبعد الاجتماعيين. ويزيد من وطأة هذه التحولات آنياً تأثير العولمة وتحديها للسياقات الداخلية ، الأمر الذي جعل من الصعوبة بمكان الفصل بين الداخلي والخارجي.

■ أهميةُ الدراسةِ ومتغيراتُها:

وفي ضوء ما سبق تتجلي أهمية الدراسة في محورين:

- الأول: رصد الواقع الجامعي المصري في ضوء تلك التحولات التي لحقت ببنية المجتمع المصري.
- الثاني: طرح الرؤى التطويرية للتعليم الجامعي المصري في ضوء الخصائص والمشكلات الجامعية المستخلصة ، على أن تتلاءم والتطورات العالمية الآنية ، والتطلعات التقدمية للمجتمع المصري.

ودراسة العلاقة ما بين التحولات الاقتصادية والثقافية والتعليم الجامعي تشير أننا أمام متغيرين رئيسيين ، إلى جانب طبيعة العلاقة المتبادلة بينهما. بما يعنى إمكانية استبدال الصيغة التقليدية لتوصيف العلاقة السببية بين المتغيرات بتصنيفها إلى متغيرات مستقلة Independent Variable وأخري تابعة Dependent ، بالصيغة البارسونزية المؤكدة على جماعية التفاعل بين المتغيرات ، وهي الصيغة التي تتبادل فيها المتغيرات المواقع ، كما تتبادل فيها الفعالية من حيث إسهامها في صياغة الواقع الاجتماعي. فضلاً عما بينهما من متغيرات وسيطة Intermediate. وعلى ذلك سوف ندرس طبيعة التفاعل المتبادل بين المتغيرين (التحولات والتعليم الجامعي) ، وان أكدنا على " أثر التحولات الاقتصادية والثقافية

على تطوير التعليم الجامعي "كما يتجلى من عنوان الدراسة على ألا يفهم من ذلك أن العلاقة مابين المتغيرين علاقة عِلِّيَّة أحادية ، ولكن الصياغة على هذا النحو جاءت كنوع من التحديد المنهجي ليس إلا.

أما النقطة الصفرية Zero Point للدراسة فيمكن تحديدها بتاريخ الحرب العالمية الأولي (١٩١٤- ١٩١٨) كحد فاصل بين مرحلة زائلة اقتصادياً وثقافياً ، وبداية مرحلة جديدة ، شكلت فصلاً محورياً في التاريخ الإنساني ، طالت بالضرورة المجتمع المصري ، ودفعت به نحو تحولات مغايرة لوضعيته القديمة. توازى خلالها التفاعل بين كل من الاقتصاد والتعليم تأثيراً وتأثراً في علاقة جدلية مستمرة حتى يومنا هذا.

■ أهدافُ الدراسةِ وتساؤلاتها:

أما عن "الأهداف" التي تسعي الدراسة لتحقيقها فيمكن تحديدها بهدف عام ، وهو بيان "أثر التحولات الاقتصادية والثقافية على تطوير التعليم الجامعي بالتطبيق علي عينة من الشباب الجامعي المصري" ، وما يتطلبه ذلك الهدف من تفريعات وتفصيلات سوسيوتربوية تخدم موضوع الدراسة ، أبرزها:

- تأسيس مدخل سوسيولوجي يتأتي من خلاله فهم طبيعة التحولات التي تعصف ببنية المجتمعات.
- رصد واقع التعليم الجامعي المصري.
- بيان أثر التحولات الاقتصادية والثقافية علي تطوير التعليم الجامعي المصري وكفاءته الداخلية والخارجية.
- صياغة رؤية تطويرية (مقبولة) لتطوير التعليم الجامعي المصري في ضوء ما نتوصل إليه من نتائج.

ومن أجل ذلك تحاول الدراسة الإجابة على تساؤل رئيسي مفاده: ما أثر التحولات الاقتصادية والثقافية على تطوير التعليم الجامعي المصري؟

وللإجابة على هذا التساؤل الأساس صغنا التساؤلات الفرعية التالية:

(١) ما المدخل السوسيولوجي الملائم لفهم طبيعة التحولات التي طرأت وتطرأ على المجتمع الإنساني؟

(٢) ما طبيعة التحولات التي لحقت ببنية المجتمع العالمي؟

(٣) ما طبيعة التحولات التي لحقت ببنية المجتمع المصري في ارتباطها بالتحولات العالمية؟

(٤) ما طبيعة العلاقة بين التعليم الجامعي والتحولات؟

(٥) ما أبرز الاختلالات التي أفرزتها التحولات الاقتصادية والثقافية على الكفاءة الداخلية للتعليم الجامعي؟ من حيث:

- § فلسفة التعليم الجامعي الموجهة في ظل تلك التحولات؟
- § دَمَقْرَطة التعليم ومدى تحققها في ظل تلك التحولات؟
- § مستقبل الهوية الجامعية والمجتمع المصري؟
- § أبرز الظواهر الجامعية المرتبطة بتلك التحولات؟

(٦) ما أبرز الاختلالات التي أفرزتها التحولات الاقتصادية والثقافية على الكفاءة الخارجية للتعليم الجامعي؟ من حيث:

- § طبيعة عوائد التعليم الجامعي في ظل تلك التحولات؟
- § طبيعة العلاقة بين التعليم وسوق العمل ، وإلى أي مدي يؤمن التعليم الجامعي العمل المناسب لخريجيه ، ومدي ملائمة مخرجاته لسوق العمل؟
- § طبيعة الحراك الاجتماعي والمجتمعي المترتب علي التعليم الجامعي في ظل تلك التحولات؟
- § واقع هجرة الجامعيين ومدي تأثيرها على الحالة الجامعية والمجتمعية؟
- § حالة التنمية البشرية ، ودور التعليم الجامعي فيها؟

(٧) ما رأى طلاب الجامعة في التعليم الجامعي المصري بوضعيته الراهنة في ظل ما يعايشه المجتمع المصري من تحولات اقتصادية وثقافية؟

■ مفاهيمُ الدِّرَاسة:

حاولنا التركيز علي عدد من المفهومات الأساسية لعل أهمها : "التحولات الاقتصادية والثقافية , والتعليم الجامعي , والجامعة , وتطوير التعليم , والشباب الجامعي". وحرصنا علي تناول هذه المفهومات في إطار كلي شمولي , في محاولة لفض الاشتباك بينها وبين التعريفات التي قد تتداخل معها , وصولاً لوضع تعريف إجرائي لكل مفهوم منها علي حدة سعياً إلي الوضوح الفكري ومنعاً لأي لبس أوغموض يكتنف محاولة فهمها فهماً سوسيولوجياً صحيحاً.

■ منهجُ الدراسة:

للدراسة الحالية طبيعتان تحتم كل منهما استخدام منهج ملائم لها ، أولهما الطبيعة النظرية ، وعليها تبنينا المنهج "الخلدوني" (التاريخي النقدي المقارن) ، لرصد فترات التحول داخل المجتمع المصري وحال التعليم في كل منها ، وبين نظام التعليم وغيره من الأنظمة التعليمية الأخرى.

وثانيهما الطبيعة الامبريقية ، وعليها تبنينا المنهج "الاستطلاعي" ، لاستطلاع آراء الشباب الجامعي في التعليم الجامعي بوضعه الراهن في ظل ما يعايشه من تحولات اقتصادية وثقافية. وإمكان تطوير التعليم الجامعي في ضوء هذه الآراء.

وعلي ذلك ، تركز الاختيار على الاستبيان Questionnaire ليكون الأداة الأساسية لجمع المادة الميدانية ، مشتملاً علي ثلاثة وأربعين (٤٣) سؤالاً بخلاف البيانات الأولية ، موزعة على محاور الدراسة ، ومطبقاً علي عينة عشوائية Random Sample روعي فيها اختيارها أن تكون ممثلة Representative لمعظم خصائص المجتمع الأصلي للدراسة ، وهو مجتمع الشباب الجامعي بجامعة بنْهَا. بلغت خمس وسبعين وأربعمائة (٤٧٥) حالة يمثلون ست كليات من كليات الجامعة (هي: الآداب ، التجارة , التربية , العلوم , الطب , التكنولوجيا) ، واستغرقت الدراسة الميدانية قرابة الشهرين ونصف ، ابتداء من شهر أبريل ٢٠٠٩ ، وحتى منتصف شهر يونيو من نفس العام.

أما الأسلوب الإحصائي: فتم حساب بعض المقاييس الإحصائية ، كمقاييس الدلالة (اختبار كا^{2}) ، ومقـــاييس الارتبـــاط كمعامل التوافق أو معامل الاقتران ، وذلك بغرض الكشف عن طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة.

■ أهم النتائج:

أظهرت نتائج الدراسة النظرية والميدانية أن التعليم بوضعه الراهن في ظل التحولات الاقتصادية والثقافية (لا يواكـــب التطورات العالمية الآنية) ، ومن ثم تنتفي قدرته في إحداث تحولات سوسيولوجية فاعلة ، وظهر هذا الخلل الجامعي في عـــدد من المظاهر منها:

غياب الفلسفة الموجهة ، وإخفاقه في تحقيق تكافؤ الفرص ، وتأثره بالحالة القيمية اللاإيجابية للمجتمع ، وعدم أتفـــاق المناهج والتكنولوجيا الجامعية مع التطورات العالمية ، وإسهامه في هجرة العقول والكفاءات المـــصرية ، فـــضلاً عـــن عـــدم ملائمة مخرجاته لحاجة سوق العمل ، ومن ثم ضعف وتدني عائده الاقتصادي ، إلي جانب غياب التنمية البشرية كأحد أهـــداف التعليم الجامعي المصري.

وعلي جانب آخر نجحت الجامعة المصرية في غرس الوعي بمعنى العولمة لدي الشباب الجامعي ، فضلاً عن ضآلة ظاهرة الدروس الخصوصية في المجتمع الجامعي ، رغم عدم غيابها بالكلية ، وإلى جانب ذلك مازال التعليم الجـــامعي يحقـــق عائداً اجتماعياً ، وحراكاً اجتماعياً بدرجة تتفق وطبيعة المرحلة السوسيوتاريخية القائمة.

■ أهم التوصيات:

إن قدرة التعليم في إحداث التحولات الفاعلة ، والإفلات من قبضة التحولات المقيدة لحركته ، واستحداث مـــا يـــلاءم التقدم الاجتماعي لا تزال قائمة ، ونقطة الانطلاق في تصحيح مسار تلك العلاقة ما بين التعليم والتحول تبدأ بإصلاح وتطـــوير الجامعة على اعتبار أن إصلاحها ينتقل عدواه إلى إصلاح المجتمع عبر مجهوداتها في الاشتغال على ذاتها ، فهماً ونقـــداً مـــن الداخل ، من أجل تحسين وجودها ، لتصبح قاطرة لعمليات التغيير والتطوير المجتمعي. ما يقتضي ضرورة وضع "إستراتيجية لتطوير التعليم الجامعي" تعمل علي تفتيت مثالب التحولات الاقتصادية والثقافية علي ذلك التعليم ، واستحداث ما يلاءم تطلعـــات المجتمع المصري نحو غد أفضل.